

لو كان في أوروبا جو مكشوف دافئ يكوننا ، لمرقوا كيف ينتفعون بالسما ، كما انتفعوا بالأرض ، ولا اتخذوا من سطوح منازلهم مقاماً للسمر الحلو والتأمل اللذيذ ، ولا اتخذوا منها منتديات ومقاه ومسارح للسينما والتمثيل وأمكن للحاضرات قاتنقوا بجمال الجو وجمال منظر السماء وجمال منظر السينما والتمثيل وجمال الحديث معاً ، ولو قلنا لارتحنا من عناء التسولين والتجولين ومسحى الأحنية إلا أن يصمدوا اليئا في السماء

\*\*\*

نمت هذا الشهر بسطح منزلنا ، وأكثرت من التحدث إلى النجوم ، والاسفاه إلى حديثها ، وملت إلى قراءة شيء من أخبارها ، فلأت قلبي حياة ، وعقلي هدوءاً ، وأعصابي راحة وكنت كل أشكوت من شيء بثت شكواي إلى النجوم فتبخرت ، وكلما تدنست في جو الأرض تطهرت في جو السماء ، فان آلتني السياسة بالأعيها وخداعها ، والأولاد بمضايقاتهم ومتاعبهم ، وانخدم برذائلهم ، والبيئة بمشاكلها وصغارها ، علوت إلى السطح وانسلحت على سجادة ، ووصلت أسباب ما يبني وبين النجوم فزال كل ألم ، واحتقرت كل ما ضايقني ، وعشت في ظلم جديد لذيد مريح ، ورأيت أني غسلت نفسي كما يغسل الثوب في البحر الواسع

عظيمة هذه النجوم وجيلة وجيلة ، فان رأيت نجوم الهيرة وعلت أنها تبلغ هدتها الملايين ، وأنها تسير بسرعة هائلة ، وأن بعض النجوم يقطم نحو ٢٤٠ كيلو مترا في الثانية ، وبعضها يقطع نحو ٤١٠ كيلو في الثانية ، وأنت بعضها بلغ من البعد عنا ما لا يصل اليئا ضوءه إلا في آلاف السنين ، أبقت بهن العظمة ؛ وشعرت في أعماق نفسك بمقارنتك وحقارة مشاغلك وحقارة أرضك كلها - وإن علمت أن في السماء آفاقاً من الشمس تكون كل شمس منها مجموعة من النجوم كجموعتنا الشمسية ، سبحت في عالم من العظمة لا حد له ، وتساءلت في كثير من الهيرة والإعجاب إلى أي طريق هي مسوقة ، وإلى أي طريق نحن مسوقون معها ؟ وقلت كما قال أبو الشبل البغدادي :

بربك أيها الفلك السدارُ أقصدُ ذا المسيرُ أم اضطرار  
تشارك قل لنا في أي شيء نقف أفسامنا منك انهار  
وفيك نرى القضاء وهل قضاء سوى هذا القضاء به تدار ؟

## نظرة في النجوم

للأستاذ أحمد أمين

بما أرى له أن أرى الشرقيين وخاصة سكان المدن لا ينتفعون بسطوح منازلهم الانتفاع الواجب ، فهم قلما يصعدون إليها إلا عند تركيب قوائم الراديو أو جبال الفيل أو مخزن ما يستغنى عنه في حجر السطح ، وهم يحبون أن يلتصقوا بالأرض ولا يحلقوا في السماء ، ويتزلوا بمضيض المنازل ولا يسموا إلى أوجها وقاهم أن من خير متع الحياة « سطوح المنازل » لأسباب في جو بديع يكوننا ، تصفو فيه السماء في أكثر أشهر السنة ، ويهب فيه النسيم العليل ليلاً ، ويمتد فيه البصر ، وتشرح فيه النفس ، ولياليه بين ليال مقمرة بديمة لا تمل العين بجالها ، وليال غاب فيها القمر فقامت النجوم مقامه تناغيك وتحدثك وتلأ قلبك روعة ونفسك حياة

تبا للأعين التي تنظر دائماً إلى تحت ، ولا تنظر إلى فوق ، وإلى الأسفل لا إلى الأعلى ، ويبدو لها أن تنظر إلى المسافات القريبة وإلى ما تلمس ، ولا تنظر إلى البعد الصحيح والنظر البعيد . إن العين إذا اعتادت ذلك قلبتها النفس فلم تنظر إلى الأمل البعيد ولم تلتذذ بالعلم ، ولم تسعد بالأمل ، وقنمت بما هي فيه ورضيت باللون وتشاغلته به ، وصدها ذلك عن أن تنشأ الكمال ، للارتباط الشديد بين عالم الحس وعالم العقل وعالم الروح

ولقد كان آباؤنا الأولون أكثر منا عناية بالسماء ، حتى العرب في بداوتهم أطالوا النظر في النجوم وانتفعوا بمجوم الفتوح ، وسأهم الصافية ، فمرقوا كثيراً منها ، ووضعوا لها أسماءها ، وكان لهم فيها ملاحظات دقيقة ، وأشمار رقيقة ؛ أما نحن فقلنا أن نعرف من أسماء النجوم إلا الشمس والقمر ، وجهلنا بأسماء مشاهيرها جهل قاصح لا يتفق وساءنا البديمة . وأما شراؤنا - ساعهم الله - فأكثرهم لا يشعر في السماء والنجوم إلا تقليداً ، وقد يبرح به ألم المهجر في غرفته المسقوفة وقد أغلقت شبايكها واسدلت ستارها ومع ذلك يشكو النجوم ويئسها وهو لا يرى سماء ولا نجومها

ثم رددت الطرفَ خاسئاً وهو حير ؛ ولكنها حسرة  
لذيذة لا ترضى بها بيدياً

أيها النجوم . كم من الناس نظروا إليك فأعجبوا بعظمتك وجمالك  
وجلالك ، وكم من الشعراء تغنوا بك ، وتقننوا في الاشادة بك كرك ،  
وعابوا عليك سرعتك أيام الرمال ، وبطئك أو وقوفك أيام المهرجان  
وكم حارت فيك العقول فظنوك آلهة وعبدوك من دون  
الله ، وأقاموا لك الهياكل والنماثيل ، ثم تقدموا قليلاً فأزلقوك  
من مقام الألوهية قليلاً ، وجعلوا لك أتراك كبيراً في أحداث الأرض ،  
فلك أثر في الرياح والأمطار والسمادة والشقاء ، وربطوا مواليد  
الناس بك ، وجعلوا مساعدهم وشقاءهم من أجلك ، وحتى الفلاسفة  
المظام أمثال أرسطو أعظمهم عظمتك عن أن يدركوا حقيقتك  
فأسندوا إليك عقولاً كباراً وجعلوا منزلتك في الفكر والعقل  
فوق منزلة الانسان ، وسبحوا في الخيال قاسوا نظاماً وهياً  
للأملاك وتدرجها في الأثر حتى تصل إلى عالمنا — وخذع الناس  
بك فبنيت لك المرصد لرؤية حركاتك ، وأقنع النجومون الناس  
بتأثيرك فسمموا قلوبهم ، وأخذ اللوك النجمين يعتمدون عليهم في  
تدبير مملكتهم ، كما يتخذون الأطباء لتدبير أجسامهم ، فلا يضمنون  
بناء إلا بمد رسدهم لك وإشارتهم بأنك ستمنحهم السعادة لبنائهم ،  
ولا يحاربون إلا برأى رجالك ونخبر أوقات رضائك

وكم شغل الناس بطولك ، ونخبروا أوقات زواجهم بحسوبة  
بحسابك ، وتنبأوا — بموتك — بموت فلان وحياة فلان  
وأنت أنت فوق ذلك كله لا تعبين به ولا تلتفتين إليه . كأن أمرهم  
لا يمتك ، وشؤونهم لا تمك ، وتتأبست الأجيال ومرت السنون ،  
وفئت أقوام وجدت أقوام وكلهم يمنحونك إعجابهم وأنت في  
علاك وسيرك وسرعتك دائبة أبداً

وأى العلم الحديث فقير فيك الأفكار ، وساواك بالأحجار ،  
وجعل قرك الجميل كأرضنا غير الجميلة ، وسلب عنك العقل والفكر  
وأخضمتك لنواميس الطبيعة وأبان خرافات الأقدمين فيك —  
ومع ذلك أقر بجلالك وأخذ بدقة نظامك ، وأقر بمجهله أن يحيط  
بك ، وأن يتعرف كل قوانينك — فأنت أنت أيام الجهل وأيام  
العلم ، وأيامنا وأيام آبائنا

وبينا أفا في ذلك كله ، وفوق ذلك كله ، إذ دعاني الخدام إلى  
التليفون فترلت من السماء إلى الأرض

— آلو

— فلان — لملك تذكرني

— أهلاً وسهلاً

— أريد أن أقابلك

— هل من شيء ؟

— لقد تخرجت من كلية الآداب واشتغلت في عمل

لا يناسبني ، وماهية لا تليق بي ، وإخواني كلهم خير مني ، فلي

سنوات لم آخذ علاوة ولم أرق إلى درجة

— نعم

— والآن هناك حركة رقية وأريد مساعدتك

نعم حوار طويل ، ورجاء مستمر ، وشكوى يؤس ، وعائلة

يعولها ، وماهية لا تكفيها ، ودنيا ضاقت به وبها

\*\*\*

في أي تفكير كنت ، وإلى أين صرت ، هذه السماء وهذه

الأرض ، أين هذا العالم العظيم السعيد الذي كنت أحلم به من

هذا العالم الحقير التافه الذي تقلني إليه التليفون والذي يعضي

فيه أكثر الناس أكثر أعمارهم ، لقد غطسني بمديته في ماء

مليح ، فلأصعد ثانية إلى السماء ولأطوّد ما كنت فيه . . . لا —

لم تمد للفكر لذته ولا لحديث النجم منتمته

\*\*\*

لقد قلب علم الفلك عقلية الانسان وأسأطى عقب ، فقد كان

يظن أنه سيد العالم ، وأن أرضه هذه هي مركز العالم ، وأن الشمس

والقمر والنجوم تدور حولها فأبان له العلم أن أرضه ليست إلا

هنة تسبح في الفضاء ، وأنها شيء تافه في المجموعة الشمسية

التي تدور حول الشمس ، وأن كل العالم من أرض ونجوم خاضعة

لقوانين واحدة كقوانين الجذب وما إليها ، وأنه إن كانت أرضه

هنة فكيف به هو — كل هذا غير عقلية الانسان وأزله من

شاغحه وسلبه غروره فأخذ يفكر تفكيراً جديداً وينظر لنفسه

وللم نظرراً جديداً ويربط نفسه بالعالم ، ويرى أنه هو والعالم

وحدة ، وأن هذه الوحدة تخضع لقوانين ثابتة استكشف ألقها

وغاب عنه أكثرها ، ما استكشف منها يدل على عظمة باقية

وعومها وسيطرتها — ولكن شيئاً واحداً لم يتغير في الانسان

وهو ارتباط مواطنه بالنجوم ، وأنها تجد السبيل دائماً لقلبه ،

وتوسى إليه بمظمة ربها ورب

أمر أمير